



السلاوة (الأخيرة) للأغنية صياد متعب

قالت وهي تقفز فوق صخرة ..

- جنار ..

- انتبه يا جنار ..

الا انها كانت قد تمسكت بجذع صفاصة .

- لا تخف ..

- خيل لي أنك ستسقطين .

قالت بتهكم :

- لست صيادا يمضي طول يومه ولا يصطاد حجلا واحدا ..

ما اسمك ؟

- علي .. اصوات الرصاص تفرغ الطيور ..

كنا قد اشرفنا على النهر .. وفي الجانب الاخر يقبع في صمت

كوخ قديم يحيطه سياج من اغصان الصنوبر والاحراش المنتشرة على

حافة النهر .. اشعة القمر تسقط على وجه رجل عجوز ذي لحية

بيضاء يقف بجانب الكوخ ..

قلت :

- اهو والدك ؟

- نعم .

تقدم الشيخ من النهر وصاح :

- تأخرت يا جنار ..

كان القمر يراقص على صفحة المياه اثر الموجات الخفيفة التي

تحدثها جنار وهي تجتاز النهر وقد رفعت ثوبها ..

- ضاعت معزة احدى القرويات وكنت اساعدها في البحث عنها ..

قال الشيخ وهو يشير الي :

- من هو ؟؟

قاطمته جنار قائلة :

- علي .. تصور انه لم يصطد حجلا واحدا .. ساعدني بحمل

الحشائش . كنا قد اجتزنا النهر ..

رمت جنار الحشائش داخل السياج .. كانت عينا الشيخ تتألقان

وهو يربت على كتفي ثم قال :

- لا تخزن يا علي .. حاول غدا .. ستصطاد حتما ..

ابتسمت واجبته :

- يبدو لي أنك صياد ماهر ..

ومن داخل الكوخ كانت جنار تقول :

- هيا .. هل ستمكثان خارجا ؟

اقتادني الشيخ الى داخل الكوخ .. جلود حيوانات مختلفة معلقة

السحب كوفية تنز منها دماء الشفق فتهمي على السفح .. ميون
الماشية تحترق بلهب يتوهج .. كنت واقفا خلف صخرة اصفى
لصفير الريح التي تأتي كالنداء من بعيد .. وفد اسندت بندقيتي
الصيد بتنوء الصخرة .. فكرت ان اعود .. اضواء المدينة تسدو
كقناديل شاحبة في معبد مهجور .. صوت حجج يصدح .. فيوحسي
الي بعقم شرابي المزق الذي اتلفه اخطبوط المدينة .. شعرت ان يدي
تمتد للبندقية ووجهت فوهتها باتجاه الحجج الذي يرقص على
الصخور .. صدى الاطلاق يدوي في الجبل ، بعدها سمعت صوت
اجنحة الحجج وهو يلتحف الظلام مذعورا .. جالت نظراتي حول
السفح ثم التصقت بوجه فتاة جيلية .. اقتربت منها .. ثم قلت :

ماذا تفعلين هنا ؟

اجابت بلهجة سريعة ..

- اظف الحشائش وعب الذئب .. ضع هذه الحشائش على

ظهري ..

نظرت حيث اشارت .. ثمة حقيبة محاكاة من الصوف يتدلى منها
شريطان طويلان .. مملوءة بحشائش اقتطفتها من السفح .. ويجوارها
كومة من الحشائش ايضا ربطتها بوشاح رأسها الاخضر وانا اتأمل
حقيبتها .. قالت :

- ماذا تنتظر ؟ هيا ..

وضعت الحقيبة على ظهرها .. وقلت :

- حسنا والاخرى ؟

ابتسمت الفتاة وعقدت الشريطين المتدليين من الحقيبة ثم ضغطت
عليهما باسنانها ورفعت الكومة الثانية ..

- اين تسكنين ؟

اشارت الفتاة الى النهر القريب ثم سارت .. لحقت بها وتناولت
كومة الحشائش من يدها . نظرت الفتاة الي ، ولكنها لم تقل شيئا
فسرنا معا فوق الاحراش وعبر اشجار الصنوبر والصفصاف وعطر
المساء يزكم انوفنا .. امسكت بشريطي الحقيبة بعد ان رفعتها من
بين اسنانها ثم قالت :

- هل اصطدت شيئا ؟

- لا ..

امتدت احدى يديها الى الحقيبة وناولتني عنقودا من عنب الذئب
وهي تحذرنني من الاشواك العالقة به ..

- ما اسمك ؟

وجهه في راحتيه .. رفع رأسه ونظر اليّ وقال والعبرات تخنق صوتها:

- هربت جنار ..
- لم اكن احلم اذن ..
- ماذا تقول ؟؟
- دفعت احدى الميزات باب الكوخ فبان النهر يسطع ..
- لا شيء .. اكنت تقول ..
- نعم جنار ..
- ومع من ؟؟
- نهض الشيخ وحمل بندقيته ثم خرج من الكوخ .. تبسته .. فقال:
- كنت اعلم ..
- ماذا ؟؟
- ان جنار ستهرب .. تعلمت الصمت من الجبل ..
- ثم وضع الشيخ راحته على كتفي وقال :
- انت لا تعرف عن الجبل شيئا ..
- شعرت انني انكمش امام هذا الشيخ ..
- اراد ان يتزوجها .. كنت اعلم ان صمت جنار سينفجر يوما ..
- لماذا لم توافق ؟؟
- لانه ابنه
- ابن من ؟؟
- اتذكر يا علي صاحبي في صيد النمر ؟؟
- ابوه ؟؟
- نعم ..
- تشجعت وقلت للشيخ ..
- وما ذنب ابنه ؟؟
- الم اقل لك .. انت لا تعرف عن الجبل شيئا ..
- ثم صرخ - هذا حكمه . اني ذاهب لاصطاد .
- كانت الفيوم تتلون في السماء . نظرت الي الشيخ ، الا انه كان قد اختفى وراء اشجار الصنوبر والصفاف .. عبرت النهر .. وكانت الطيور قادمة نحوه ، وعلى صخرة وقف رجل رافعا رأسه .. رفعت بندقيتي لاصطاده .. شعرت ان ذراعي لا تقوى على حملها .. فهمست :
- لست صيادا ..

امجد توفيق

الموصل

مكتبة انطوان

(فرع شارع الامير بشير)

تقدم للطلاب

جميع الكتب المدرسية

العربية والفرنسية

على هامة الجدار وارضية الكوخ مفروشة بجلود الدببة .. وثمة بندقية متكئة على شباك الكوخ . افترش الشيخ جلد نمر وجلس عليه متربعا .. جلست بجانيه .. خرجت جنار من الكوخ ثم عادت تحمل اناة كبيرا مملوءة باللبن .. شربت والشيخ .. كان هواء الكوخ متقللا برائحة التبخ .. اصوات الماشية تخترق صمتنا .. بدأ الشيخ ساهما وهو ينظر الى جنار .. شعرت بالارتباك .. نهضت وانا اطلب من الشيخ ان يسمح لي بالرجوع الى المدينة .. رفض الشيخ ذلك ثم وعدني ان نخرج للصيد فجرا ..

تحدث الشيخ عن خضرة الصنوبر وانجيل ورحلات الصيد .. اجتذبتني حديثه ، فسألته عن جلد النمر الذي يجلس عليه .. قال الشيخ وهو ينظر الى جنار :

- كنت صيادا يا علي ..

- اعرف ...

- مرة اشتركت واحد اصحابي في صيد نمر .. كان ذلك امام الفرويين .. انفقنا ان تكون في بندقية كل منا اطلاقا واحدة اطلق الشيخ صامتا ثم اضاف بنبرة حزينة :

- كان ذلك شرطا .. ذهبنا عبر الجبال واشجار الصنوبر الى عرينه وخرجنا من خلف الصخرة عندها انطلق من عرينه ..

نهض الشيخ ومسح دموعه بوشاح جنار الاخضر ثم جلس .. كان الالم قد حرت جبينه القاسي بخطوط ينز منها الدم .. نظر السي وقال :

- هل رايت نمرا ينظر اليك بعينين كالدلم ؟ هل انت صياد ؟ لم يستطع صاحبي ان ينام الدم في عيني النمر .. فرماه باطلافة . اسرعت ونسقت شجرة صنوبر ضخمة .. قفز النمر وهو يهدر بصوت كالرعد .. لم تصبه الاطلافة .. رماه باخرى .. يا علي .. حكمم الجبل قاسي .. فسوة صخوره .. انجحه النمر اليه حاول ان يفترسه الا انني صويت اتيه بندقيتي واطلقتها اصابت الرصاصة راس النمر .. فجرت في رأسه عينا كالدلم ثالثة .. ثم اضاف وهو يشير الى جلد النمر .

- انظر الى رأسه ..

اطرقت صامتا وكنت اخشى ان انظر اليه ..

- يوما قاطع الثرويون صاحبي .. لانه اطلق رصاصة ثانية .. اتهمني بالكذب ليتخلص من عاره .. اقسمت بالاله والجبل ان اقطع كل صلة لي به ..

كان الشيخ يتشجن من الالم .. وبنار تنتحب وهي واقفة تطيل النظر من شباك الكوخ . قلت :

- ما بك يا جنار ؟؟

- احب النظر الى القمر وهو يطفو وسط السحب ..

خرجت من الكوخ .. جلست على صخرة وانا انظر الى الجبل، هذا العملاق الذي يخفي الموت والحياة في قلبه .. شعرت برغبة ملتهبة ان ارفص .. اصيح .. افعل شيئا .. اي شيء .

بعدها لم اشعر الا وانا اسبح معاكسا التيار وقد تخدر جسمي فعدت للكوخ .. ثم استلقيت على جلد حيوان .. والشيخ يرسل شخيرا كحيوان في النزاع الاخير . في الخارج سمعت صوت فارس يتقدم . وعبر شباك الكوخ ابصرت فارسا على جواد ابيض يرسل صفيرا خافتا .. حينها رايت جنار وهي تحمل حقيبة الحشائش تلك .. وضعت فيها اشياء لم اميزها واتجهت ناحية الفارس . مد الفارس ذراعه اليها ثم رفعها واجلسها خلفه بصمت وهز لجام جواده فانطلق ينهب الارض وبنار قد الصقت خدها بظهر الفارس وهي تنظر الى الكوخ .. شعرت ان رأسي يدور ثم سقطت على ارض الكوخ .

✱

سهام الشمس تخترق النافذة وتسقط على رأس الشيخ الذي دفن